ما هذه الحرب وما وراءها؟

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لم يبق فى المعمور قطرٌ مهما يكن قصيًّا عن مناطق القتال ، لم يصطدم بشظايا هذه الحرب ، ولم يحمِّل عبء ويلاتها وشرورها . إنها لعمرى حرب غريبة بفظائعها وأهوالها ، خارقة بعددها ومعداتها ، فاقت كل حدس وتخمين ، وبزّت أقاصيص الجن وأساطير الأقدمين

فالتاريخ لم يرو لها مثيلاً فى كثرة الضحايا واتساع الجبهات ، وجُسامة التخريب والتدمير . لقد شملت نارها العالم بأسره ، حتى أمسى لا يأمن مغبتها الطفل النائم فى سريره ، ولا الراتع فى أحضان أمه ، ولا المريض المستلقى على فراشه ، ولا الشيخ القابع فى داره ، ولا الساكن مشارف الجبال ، ولا العائش فى بطون الأودية ومطاوى الأدغال

صدام فظيع هذا الصدام البشرى الهائل الذى لم يبق ولم يذر . فالمدن التى يجتاحها يدعها قاعاً صفصفاً ، والأرض التى يمر كها يجعلها خراباً يباباً . كيف لا والسابحات فى الجو تدك أمنع الجبال دكاً ، وتهتك أوعر المفاوز هتكاً ، والغائصات فى اليم تقدّ بطن العباب قدًّا ، وتبلغ أعمق الأغوار حدًّا . والقاطعات البيد تنهب أرذل القفار نهباً وتقطع موحش المجاهل قطعاً وهى تنشر الموت والدمار فى كل مكان

فأين المفر من حرب طاحنة كهذه الحرب . أضرم نارها جنون الإنسان على أخيه الإنسان ، وأثارها حرباً شعواء تقذف بيران الجحيم من آلاتها الجهنمية ، فتتلف الضرع والزرع وتفتك بالإنسان والحيوان ، وبكل ما هب ودب على سطح الأرض وما تمخض فى أحشائها

خمسة أعوام تصرمت على هذه الحرب ، أو تكاد تتصرم . تحمّل منها البشر ما لم تتحمله القرون ، وبذلوا فى ساحاتها الأرواح بالملايين ، والأموال « بالبلايين » وضحّوا من تراث الحضارة ومن مخلفات الآباء وآثار الأجداد بما لا يقدر بثمن ولا يعوض بأجيال

والحرب دائرة بعد ما خمد أوارها ، ولا خفّت نارها ، وهى ما تزال مسعرة تتأجج لهيباً وتزداد ضراماً

أيود الإنسان الغافل أن يروى الأرض بالدماء ، ويغمرها بالخراب . فيقضى قضاء مبرماً على أينع ما فى الدوحة البشرية من مخضلّ الغصون . ويلوى على البقية الباقية من ذخائر الحقب ونفائس الدهر التى هى خلاصة العقل البشرى ونتاج جهاده على مر العصور والدهور

أما كفى البشر ما قاسوه حتى الآن من فظائع التقتيل والتخريب ، وما كابدوه من ضروب الشقاء والحرمان ! وما تحملوه من وطأة الأوبئة والمجاعات !

لقد هللوا كثيراً لاختراع السيارات والطيارات واستبشروا خيراً بتقدمهم الباهر فى صناعة الكيمياء واللاسلكى ، وعدّوا العصر الذى نعيش فيه عصراً للرخاء البشرى والتمدن العالى . فكانت النتيجة كالعسل الممزوج بالسم يحلو طعمه ويقتل مذاقه كيف لا وقد انقلبت السيارات الوفيرة فى هذه الحرب الآلية الطاحنة دبابات تزرع الويل والثبور ، وتبدلت الطائرات

ومكث ليستريح قليلاً ، نراه يكاتب ابن صالح ويعرض عليه العودة إلى الدعوة الفاطمية ، بل يطلب منه مساعدته فى حروب العباسيين ، وأخذ يعد ابن صالح فى كلام طويل أثبت المؤيد نصه فى سيرته ، ولست أدرى كيف استجاب ابن صالح إلى المؤيد ؛ فأعاد الخطبة على المنابر باسم المستنصر الفاطمى ، وذهب هو نفسه لمقابلة المؤيد الذى خلع عليه ولقبه بتاج الأمراء . ثم نرى ابن صالح وجيشه ينضمون إلى المؤيد ويسيرون معه لمحاربة العباسيين ، والواقع أن تحول ابن صالح بسهولة تعد من أغرب ما ذكره المؤيد ، لأن المؤيد استطاع بخطاب منه أن يكبح جماح ثائر له خطره وقوته ، بل استطاع أن يتخذ منه عوناً وعضداً . ثم استطاع أن يسترجع حلب إلى أملاك الفاطميين ، كل ذلك ثم بخطاب من المؤيد إلى ابن صالح . أما الأسباب التى جعلت ابن صالح يقبل هذا كله فهذا ما لم نستطع تعليله

(يتبع)

الدكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

الجالبة النبطة والجبور قاذفات تلقى على الأرض أفدح الشرور . هكذا الأجهزة اللاسلكية والسوائل الكيماوية التى كانت نعماً للأرواح والأبدان قد تحولت جحيما لاهبة وغازات خانقة ...

ما شاء العلماء ولا أئمة الفكر والاختراع أن يجنوا على الإنسانية بمختلف علومهم ومستحدثاتهم . فهم صفوة خلق الله وأكثرهم نفعاً لعباده . لكن الغريزة البشرية المرتكزة على الجشع وحب الأثرة هى التى تحول الخير شراً والعلم ضراً . وستبقى هكذا عائشة فى مقررات الحياة البشرية ما دامت وسائل علاجها مستعصية على مدارك علماء النفس والجسد ، وسر إصلاحها مغلقاً فى وجوههم

ولهذا أعتقد أن الأخلاق الشاذة والغرائز الملتوية فى هذا الكائن المجهول الذى يُدعى الإنسان ، لا تتعدل ولا تتغير ، بمجرد تعديل الأنظمة أو تغيير القوانين . فهما يُبدع المصلحون والمشترعون يظل إبداعهم حبراً على ورق ، ما لم يؤتوا علماً راهناً يسيطر على الغرائز البشرية نفسها ، ويتمكن من التحكم فى عناصرها الأصلية ، ليتم له تعديل نزعاتها وتوجيهها توجيهاً صالحاً لقبول الأنظمة المستجدة والشرائع المستحدثة

فنتائج الحرب الماضية ما تزال ماثلة للعيان ، وهى حرب تعد فى مجموع خسائرها أعظم حرب عرفها التاريخ — ما خلا هذه الحرب — زُهقت فيها الأرواح بالملايين ، ناهيك بفظاعة تدميرها ، وفداحة الأوبئة والمجاعات التى انتشرت بسببها فى معظم أنحاء الأرض ، وفتكت بالناس فتكا ذريعاً ، حتى أمست ضحاياها تزيد على ضحايا المعارك زيادة هائلة

فماذا جنت الإنسانية من هذه الخسائر الجسيمة ؟ لقد انتهت تلك الحرب المشؤومة وأسفرت عن عصبة أمم كسيحة ، لم تقو يوماً على تطبيق الشرائع والأنظمة التى استحدثتها لسلامة الأمم والشعوب . ولم تتمكن من مجابهة المغيرين الذين كانوا ينتهكون حرمة قوانينها ويعبثون بشرائعها . والاعتداء على بلاد الأحباش وعلى الصين ، وبقاء العصبة مكتوفة اليدين تجاههما ، يدل دلالة واضحة على إفلاسها

غير أنها ولو باءت بالفشل وانتهت بالهزيمة ؛ فإنشاؤها عقب الحرب الماضية يعد محاولة فى سبيل الإصلاح . وهى لعمرى محاولة لها قيمتها ووزنها فى ميدان التجدد الفكرى واليقظة الاجتماعية . لأنها برهن على الوعى البشرى الذى شمل العالم المتمدن ، حتى أصبح يرى من الضرورى إنشاء عالم أفضل من عالمنا ، يحفظ حقوق الناس على اختلاف أجناسهم ، ويسبغ عليهم جميعاً نعم الحياة وخيراتها

أجل إن عصبة الأمم لم توفق لإنشاء هذا العالم المنشود . وقد جربنا فشلها وفشل ما سبقها من المعاهدات الناقصة إلى هذه الحرب الضروس التى أثقلت كاهل الإنسانية . فأقفرت أرضها ودُكت معالمها ، ويُتم أطفالها ، وقُضى على خيرة شبابها

فما وراء هذه الحرب ، أرخاء ووفاق يشمل العالم بأسره ، أم بلبلة وشقاق ؟ لا أدرى . لكنى أتفاءل خيراً بتدرج الإنسانية نحو المثل العليا التى تضمن سلامها ورخاءها ورقيها

فميثاق الأطلنطى بادرة أمل ورجاء . إذا تمكن العالم فى الغد من تطبيق بنوده وتعميم نفعه ، صحت الآية القائلة : على الأرض السلام والرجاء الصالح لبنى البشر

ولكن لا يعزب عن بال المصلحين أن الطبيعة البشرية أمارة بالسوء . فمن الواجب درسها وتمحيصها على ضوء العلم ، والتغلغل فى أعماق جذوعها ، لتفهم عناصرها واستقصاء أطوارها . فعندئذ لا يصعب على البشر أن يتبينوا لها طريقاً قويماً . فبمقدار ما تصلح الطباع البشرية يصلح الكون

(بيروت) نوفيق عبد الشرقاوى

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ٢ أغسطس سنة ١٩٤٤ عن توريد أسلاك ومفصلات وخلافه ، والشروط بإدارة المشتريات والعقود وثمن النسخة ٢٥٠ مليما ٢٣٥٢